واقع اللغة العربية وسيرورة الخطاب الديني في القرآن الكريم

الدكتور هشام مصباح
عبد الحميد مهري قسنطينة ٢ ـ الجزائر
hicham.philo21@gmail.com

The reality of the Arabiclanguage and the process of religiousdiscourse in the HolyQuran

Dr. Hisham Mesbah
Abdel Hamid Mehri Constantine 2 - Algeria

الملخص:-

يعد الحديث عن اللغة العربية من القضايا المهمة المتعلقة بواقع لغة القرآن الكريم والسمات الجوهرية التي تنفرد بها دون غيرها من اللغات، ليس باعتبارها أداة للتواصل بين الشعوب العربية وغيرها فقط، بل بوصفها لغة متجددة تملك القدرة على الاستمرار ومواجهة كل الرهانات الجديدة التي يعيشها الإنسان في كل زمان ومكان، فاللغة العربية من أقوى اللغات وأغناها من حيث الكلمات والمفردات والمعاني والدلالات، فهي تجمع في داخلها العديد من الأسرار والخفايا العجيبة التي لا نجدها في غيرها، وعليه كانت وحدها حاملة كلام الله تعالى وأخر كتبه المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إنها لغة خالدة محفوظة بحفظ القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، القرآن الكريم، الإنسان، الواقع المعاصر، اللغات الأخرى.

Abstract:-

Talking about the Arabic language is one of the important issues related to the reality of the language of the Noble Qur'an and the essential features that are unique to it without other languages, not only as a tool for communication between Arab peoples and others, but as a renewed language that has the ability to continue and face all the new challenges that humans live. In every time and place, the Arabic language is one of the most powerful and richest languages in terms of words, vocabulary, meanings and connotations. It is an immortal language preserved by memorizing the Noble Qur'an.

Key words: Arabic language, the Noble Qur'an, people, contemporary reality, other languages.

المقدمة:

يعيش العالم المعاصر اليوم موجة تقدمية رهيبة لم يعرف لها مثيل من قبل وطيلة مساره التقدمي الحافل بالمنجزات الهائلة التي غزتْ العالم الراهن ودشنت مرحلةً جديدةً من التطور في جميع مجالات الحياة الإنسانية، لعل من أبرزها الثورة المعلوماتية بما أتاحته من تقنيات في عالم الاتصالات والأنترنيت التي حققت تقدماً مذهلا في فترة زمنية قصيرة فقط معلنة في الوقت ذاته عن أجيال جديدة جعلت العالم يعيش حلم الأمس الذي لطالما وعدت به الحداثة الغربية ألا وهو العالم قرية صغيرة يمكن معرفة كل ما يحدث فيها والتنقل في جميع أرجائها في ظل عالم افتراضي فرض نفسه وبقوة كمنافسٍ شرسٍ للعالم المعيش.

هذه التحولات الرهيبة التي بلغهاَ العلم في القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين أسست لمرحلة جديدة تحتل فيها المعرفة المركز الأول ومن دون أيٍّ منازعٍ بلغة عالم اللسانيات الحديث **نعوم تشومسكي**، الأمر الذي اقتضى ضرورة مواكبة اللغة والأبحاث اللغوية لهذا النهر المنهمر من المعرفة المعلوماتية وتقنيات الحوسبة وإدخال البرمجيات الآلية في مجال البحث الألسني كي تواكب الجديد الحاصل في مضمار اللغة باعتبارها بيت الوجود الأصيل الذي لا يمكن الابتعاد عنه بلغة الألماني راعي الوجود والكينونة هيدجر، وهو الذي أعلن أن الحدود بين الدول ليست مجرد حدود جغرافية بل حدود لغات خصوصاً في الفترة الراهنة التي اتسمت بتداخل العديد من الحقول المعرفية مع بعضها البعض تحت ما يعرفُ بالتحاقل المعرفي الذي يقتضي حضور اللغة بوصفها العصب الرئيسي في كل معرفة جديدة، وهو الأمر الذي جعل العالم الغربي يولي اهتمامه الشديد بالأبحاث اللغوية واللسانية وتوظيفها في مجال الحاسوب والبرمجيات الرقمية كي تعبر عن قضايا وهموم الإنسان المعاصر، ومن ثمة التأكيد على الأهمية القصوى للغة العربية بوصفها لغة مقدسة مستمدة من تعاليم القرآن الكريم وما تضمنه من تراكيب لغوية غاية في الدقة والإبداع الرباني الذي لا يمكن لأي بشر مهما امتلك من قدرة لغوية على صياغة جملة واحدة من الإعجاز القرآني، وبالتالي التأكيد على السمات الجوهرية التي اكتستها لغتنا العربية المحفوظة بحفظ كلام الله تعالى، وعلى هذا الأساس سنحاول في ورقتنا البحثية هذه الوقوف على أهم الملامح الأساسية في الخطاب القرآني بمعنى العلاقة القائمة بين اللغة

العربية والخطاب الديني، فما هي مميزات اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم؟ وما هي جوانب القوة الي تنفرد بها لغتنا العربية دون غيرها من اللغات الأخرى؟.

أولاً: اللغة العربية والقرآن الكريم:

تعتبر اللغة العربية من أغنى اللغات العالمية نتيجة مختلف المميزات والخصائص التي تتمتع بها دون غيرها من اللغات الأخرى، فهي لغة متجددة باستمرار قادرة على الحضور في كل المواقع المتعلقة بالحياة الإنسانية في جميع تفاصيلها وفي كل المجالات دون أي استثناء، ولأن اللغة العربية متصلة بالقرآن الكريم بوصفه كتاب الله تعالى المقدس اكتسبت صفة القابلية للبقاء في كل زمان ومكان وفي كل الظروف والأحوال، من هذا المنطلق لا يمكن الحديث عن واقع اللغة العربية وسماتها الجوهرية في معزل عن القرآن الكريم والمفردات الكثيرة التي حملها الكتاب المقدس الذي تجلت فيه كل معاني القوة اللغوية بكل تمظهراتها شكلا ومضموناً فما هي مميزات اللغة العربية في ظل التحديات الجديدة التي يعيشها الإنسان المعاصر؟ ثم ما هي العلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم؟

١- **قراءة تاريخية في مفهوم اللغة العربية:** مما لاشك فيه أن اللغة العربية من أقدم اللغات وأعرقها في تاريخ الإنسان حيث عرفت انتشارا واسعا في العديد من مناطق الكوكب الأزرق نتيجة القوة اللغوية والغني الكبير الذي امتازت به في كل فروع اللغة ومن ثمة حضورها المستمر في مختلف الحقب التاريخية التي مر بها الإنسان، يؤدي بنا الحديث عن واقع اللغة العربية اليوم إلى إعطاء لمحة مختصرة عن ماضي هذه اللغة والميزات الجوهرية التي تختزل تلك المكانة الكبيرة التي تملكها اللغة العربية، لأنه لا يمكن الخوض في تحديات لغتنا العربية دون التعريج عن خصائص لغتنا العربية مقارنة باللغات الأخرى، وأهم هذه الخصائص هي أن اللغة العربية هي لغة الكتاب المقدس ومن ثمة تكون الأمة العربية الأكثر حظا بين بقية الأمم الأخرى، هذه المكانة المقدسة جعلت منها لغة عالمية تجاوزت حدود الزمان والمكان والإقليمية لتصبح منفتحة على جميع الشعوب، فقد انكب الكثير من العلماء عرب وعجم على دراسة اللغة العربية وتعليمها والتعمق فيها في كل فروعها وتخصصاتها، فبرع العرب في النحو والبلاغة والصرف والإعراب والشعر والنثر وغيرها من أنواع

البيان والبديع العربي حتى أصبحت مثلا للبلاغة والكلام الموزون الحامل لقيم الإنسان وتراثه وانتمائه في جميع ميادين الحياة الإنسانية، والقائمة طويلة في هذا المجال حيث نجد ابن المقفع، سيبويه، الجاحظ، الجرجاني، الزمخشري، ابن جني، وغيرهم ممن أسهموا في تدوين معالم اللغة العربية وتطويرها، ليتسع مجالها وتكتمل مرحلة نضجها وتطورها كلغة رسمية حاضرة في مجالات العلم والمعرفة، وأفضل دليل على ذلك ما خلفه علماء المسلمين من رقي وحضارة ابان مرحلة القوة في الدولة الإسلامية، فالأندلس وغرناطة، انطاكية، العامرية وغيرها تشهد على حضارة العرب وعلومهم .

إن البحث في تاريخية اللغة العربية هو في الحقيقة بحث عن نشأتها وتطورها والعوامل التي ساهمت في تشكّلها عبر العصور التاريخية سواءٌ كانت عوامل داخلية أو خارجية، وعليه فالبحث في تاريخ اللغة يتطلب النظر في نشأتها منذ تكوّنهاَ وما عرفته من تحولات وتغيراتٍ شملتْ جميع مجالاتها وفروعها المتنوعة، مثل تكوّن الأفعال والأسماء والحروف، إضافة إلى البحث في التأثيرات الخارجية الأخرى التي ساهمت في تطور اللغة العربية من خلال احتكاك الشعوب العربية بغيرها من الشعوب الأخرى، وأيضا النظر في ما تضمنته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور يقول **جورجي زيدان** في كتابه "**اللغة العربية كائن حي**":" وإذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الأمة كالآداب أو اللغة أو الشرائع... رأيتها تسير في نموها سيراً خفياً لا يشعر به المرء إلا بعض انقضاء الزمن الطويل، ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة، فتغير الشؤون تغييرا ظاهراً.... واللغة تابعة لذلك... بل هي الحافظة لأثار ذلك التغيير، فتحتفظ به قرونا بعد زوال تلك العادات أو الآداب أو الشرائع، وإذا تبدل شيء منها حفظت أثار تبدله.."[1] فاللغة تلعب دورا حاسما في كل التغيرات التي يعرفها المجتمع وفي كل مجالات الحياة الإنسانية، ومن ثمة يكون البحث في تاريخ اللغة هو بحث في تاريخ الإنسان واستخدامه للغات المختلفة، فلكل مسار يعبر عن تشكلها وتطورها من زمنٍ إلى أخر، وعليه فأهم المراحل التي مرت بها اللغة العربية بعد تكونها وتشكلها هي: العصر الجاهلي وما تميزت به اللغة من تنوع وتغير في ألفاظها وتراكيبها قبل الإسلام، وهذا ما نجده في الشعر الجاهلي والألفاظ المختلفة التي استخدمت في تلك الفترة الزمنية، العصر الإسلامي والأثر الذي تركه في اللغة العربية في

جميع فروعها ومجالاتها، الألفاظ الإدارية في الدولة العربية، ثم الألفاظ الإدارية في الدولة العربية، الألفاظ الاجتماعية ونحوها، الألفاظ النصرانية، الألفاظ الأعجمية في دول الأعاجم، ثم مرحلة النهضة الحديثة[٢]، ومن ثمة فقد ساهمت العديد من العوامل الداخلية والخارجية في تطور اللغة العربية إلى اللغة المستخدمة اليوم مع العلم أن العرب قد استخدموا العديد من اللهجات خصوصا قبل مرحلة الإسلام أي العصر الجاهلي يقول جورجي زيدان في الفكرة ذاتها:" ويكفينا في هذا المقام البحث في لغة الحجاز وحدها، وهي اللغة العربية التي وصلت إلينا، لقد كانت قبل تدوينها أي قبل الإسلام، لغات عديدة تعرفُ بلغة القبائل وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب كلغات تميم، وربيعة ومضر، وقيس، وهذيل، وقضاعة[٣]..." وغيرها من الأقوام التي كانت موجودة في تلك الفترة الزمنية من الأقوام الأخرى سواء كانت عربية أو أعجمية بفعل حركة التجارة والتنقل من بلد إلى أخر، ولا يكفي المقام هنا لعرض كل التفاصيل الخاصة باللغة العربية ومصدرها وعلاقاتها باللغات العربية نتيجة شدة اتساع مجال البحث في اللغة العربية وكثرة معانيها، ومن ثمة فاللغة العربية لغة مفتوحة على العديد من التوجهات الفكرية والإنسانية التي تقبل كل الآراء، إنها لغة خاصة لا تشبه كل اللغات بل تحمل في طياتها الكثير من المزايا التي تضعها في المراتب الأولى على الرغم من المشاكل والأزمات المتنوعة التي تعاني منها اللغة العربية والعالم العربي الإسلامي بفعل كثرة الصراعات السياسية والايديولوجية التي تريد دائما اسقاط اللغة العربية لأنهم يدركون مدى قوتها وقدرتها على مواكبة كل التطورات الحاصلة في العالم. وعليه فالبحث في واقع اللغة العربية هو في حقيقته بحثٌ في حالة العالم الإسلامي والتشققات الرهيبة التي يعاني منها على جميع الأصعدة، حيث تنحدر اللغة العربية من عائلة كبيرة هي عائلة اللغات السامية نسبة لسام بني نوح عليه السلام، وعلى الرغم من أن الأم الولود لهذه العائلة لا تزال مفقودة إلى غاية المرحلة المعاصرة إلا أن معرفة الباحثين بطفولة بناتها الساميات وترعرعها تزاد يوماً بعد يوم، حيث يمكن تقسيم اللغات السامية إلى قسمين هما: اللغات السامية الشرقية وتشمل اللغة البابلية والآشورية وكان موطنها بلاد العراق وما ورائها، والقسم الثاني اللغات السامية الغربية وموطنها ما بين النهرين دجلة والفرات وبلاد الشام والجزيرة العربية والحبشة، وهذا القسم يقسم هو الأخر إلى صنفين: شمالية موطنها ما بين النهرين وبلاد الشام وتشتمل على اللغة الكنعانية واهم لهاجاتها

العبرية والفينيقية واللغة الآرامية وهي اللغة التي تكلمت بها قبائل إرم البدوية التي كانت تعيش غربي بلاد الرافدين وهي التي أقصت اللغة الآشورية عندما تمكن الآراميون من الحكم ومن أشهر لهاجاتها اللغة الآرامية والسريانية، أما الجنوبية فموطنها الجزيرة العربية والحبشة وأهم لهاجاتها اللغة الحبشية واللغة العربية[٤]، كما يعتقد الكثير من الباحثين في حقل الدراسات اللغوية وفقه اللغة أن اللغة العربية هي أصل الساميات وباقي اللغات هي فروع منها، حيث تنقسم العربية أيضا إلى عربية شمالية وعربية جنوبية، وبالتالي فالحديث عن اللغة العربية من الأمور الواسعة في تاريخيها والتي لا يمكن الإمساك بجميع حدودها في ورقة موجزة، بل تحتاج إلى الكثير من الدراسات المتخصصة في بيان نشأتها وكيفية تطورها عبر مسارها التاريخي القديم، ومن ثمة توضيح المعالم الكبرى التي تتمتع بها لغتنا العربية الضاربة في عمق تاريخ الإنسان العربي القديم، فالحرف العربي قد مرّ بمسار تاريخي في تطوره من الحرف المعيني إلى السبئي، داداني، إلى لحياني، إلى ثمودي، إلى صفوي إلى نبطي وأخيرا إلى العربي الحديث.

٢ـ اللغة العربية والقرآن الكريم:

إن الأمر الذي لا يمكن الخلاف فيه هو نزول القرآن الكريم باللغة العربية على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الصحراء العربية التي كانت تتميز بفصاحة أهلها وحبهم للغة العربية، وأفضل دليل على ذلك ما تركه الشعراء العرب في العصر الجاهلي من تراث فكري راقٍ بقي خالدا إلى غاية الأن نتيجة قوته اللغوية وشدة فصاحته التي أصبحت من الأمور التي تم تدارسها في المعاهد والجامعات في مختلف أنحاء العالم، لقد سجل القرآن الكريم في نزوله باللغة العربية في الكثير من المواضع التي ذكر فيها لفظ العربية في تأكيده على العلاقة الوطيدة باللغة العربية التي تعتبر لغة مقدسة حيث وردت في إحدى عشرة سورة وهي: يوسف، الرعد، النحل، طه، الشعراء، الزمر، فصلت، الشورى، الزخرف والأحقاف، حيث ورد في قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ " نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"[٥]، وكذلك قوله تعالى في سورة النحل الآية ١٠٣: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[٦] وفي هذا توضيح جلي للعلاقة القائمة بين اللغة

العربية والقرآن الكريم والتي وردت في الكثير من المواضع ذات العلاقة الوطيدة باللسان العربي، ومن ثمة القوة الكبيرة التي تتمتع بها اللغة العربية في جميع فروعها وأقسامها التي تشير دائما إلى مدى الغنى المفاهيمي الكبير الذي تتميز بها لغة الضاد، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾(٧).

فاللغة العربية ليست هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم فحسب بل هي اللغة التي فتحت أفاقاً جديدة وبلاداً أوسع لاعتناق ما جاء به القرآن، لذلك فالعلاقة بينهما هي علاقة تبادلية نتيجة ما تتميز به هذه اللغة العربية من سحر البيان وقوة اللفظ والمعنى كما جاء في القرآن الكريم الذي أعجز العرب عن الاتيان بمثله رغم محاولاتهم التشبه بما ورد فيه من معاني ودلالات غاية في الدقة والإبداع الرباني الذي شمل جميع مناحي الحياة الإنسانية من دون أي منازع(٨)، ومن ثمة فقد حفظ الله تعالى القرآن الكريم بسحر بيان اللغة العربية، وحفظ اللغة العربية بقدسية القرآن الكريم ، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (٩) وكذلك قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(١٠) ، وقوله أيضا في سورة الزمر: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١١) فهذا كله يشير إلى فكرة واحدة مفادها أن الله تعالى قد اختار لكتابه أفصح اللغات وهي العربية ومن ثمة حفظها من كل ما يؤذي إلى زوالها أو إلى تحريفها من طرف أولئك الدين يريدون العداوة للدين الإسلامي ولكتاب الله تعالى، فالدارس لتاريخ اللغات يجد أن هناك العديد من اللغات التي زالت وماتت، ومن بينها اللغة الفينيقية مثلا التي كانت لغة أهل لبنان قديماً، اللغة المصرية القديمة، والآشورية وغيرها، في حين ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها لغة محفوظة بحفظه وباقية ببقائه يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١٢) ومعنى هذا أن اللغة العربية هي لغة باقية لأنها لغة مقدسة نزل بها الدين الكريم ولغة القرآن الكريم، فبنزول القرآن على اللسان العربي ودخول الناس في دين الإسلام أفواجا م كل بقاع الأرض اتجه الناس من كل الأعراق والأجناس إلى تعلم اللغة العربية رغبة منهم في تعلم العبادات ومعرفة خفايا اللغة العربية وما تخفيه من أسرار داخل نظامها المنسجم والمتسق مع كلماتها وتراكيبها المتعددة، فمن مظاهر العلاقة بين العربية وكتاب الله تعالى الانتشار الكبير الذي عرفته اللغة العربية خصوصا في فترة الفتوحات الإسلامية وانتقال علوم المسلمين وغيرهم إلى كافة بقاع

الأرض، الأمر الذي سرّع بتوسعها لتشمل مختلف الشعوب والأمم الأخرى التي تعلمت اللغة العربية.

فالسر الذي تحمله اللغة العربية يكمن من دون أي شك في القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليغير حياة الأمة العربية في كافة مجالاتها[١٣]، وهي التي كانت تعيش مرحلة انغلاق وجهل وظلام سيطر على جميع فصول حياة الناس في تلك المرحلة التاريخية، ومن ثمة الدور التنويري الحاسم الذي لعبه القرآن الكريم في إخراج الأمة العربية إلى عالم جديد، عالم النور والكرامة الإنسانية التي كانت مهدورة زمن الجاهلية الأولى، كما تتميز اللغة العربية ببديعٍ أسلوبي كبير جداً نلمس ذلك في آيات القرآن الكريم التي كانت في غاية الدقة، وغاية القوة اللغوية والأسلوبية، وتراكيبها النحوية وغيرها يقول تعالى في مدح اللغة العربية وقوتها التي جعلتها تتربع على جميع اللغات الأخرى عبر العصور، فهي اللغة الأولى وستبقى كذلك على مر الأزمان رغم التطور العلمي والقوة المعرفية التي يعرفها الإنسان اليوم في بدايات القرن الحادي والعشرين، إلا أن اللغة العربية بقيت محافظة على بريقها ولمعانها الأخاذ في جميع مجالاتها، ومن ثمة الأبعاد المتعددة التي حملها القرآن الكريم ودلائل الله تعالى في خلقه يقول تعالى:" قل لأن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا" [١٤].

ثانيا: تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية: كما أشرنا سابقا لقد كان تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية كبيراً جداً، وأفضل دليل على ذلك مختلف الآيات والسور التي وردت في الكتاب الكريم والتي تؤكد كلها صراحة على الدور المهم للغة العربية والغنى المعرفي القوي الذي تتمتع به لغة القرآن الكريم، هذه المميزات التي جعلتها تحتل الصدارة بين جميع لغات العالم باعتبارها لغة مقدسة نزل بها كتاب الله تعالى، ومن ثمة فهي لغة خالدة بخلود الكتاب المقدس الذي حفظه الله تعالى من كل تحريف أو تزييف.

١- تاريخ اللغة العربية شاهد على علاقتها بالقرآن الكريم: كل هذه السمات جعلت العلاقة بينهما قوية جداً بحيث لا يمكن ايجاد مناحي ينفصلان فيهما عن بعضهما البعض، وهو الأمر الذي يثبته تاريخ اللغة العربية في حد ذاته التي ظهرت في

الجزيرة العربية التي كانت مغطاة بجاهلية سيطرت على كافة مجالات الحياة الإنسانية التي كانت خاضعة لقوة الروم والفرس، إلا أن نزل الإسلام الذي نقلهم من الذل والهوان إلى العزة والكرامة ورفعهم إلى أعلى الدرجات، بل جعلهم أسياداً على الأرض تحقق ذلك عندما اختار الله تعالى على أن يكون القرآن الكريم وهو أخر كتبه باللغة العربية يقول تعالى: " إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون"(١٥)، ومن ثمة التأكيد الدائم على المنبع الأصلي والصافي للغة العربية التي مدحها القرآن الكريم في مواضع كثيرة متنوعة.

إن من أهم أثر القرآن الكريم في اللغة العربية هو أن جعلها لسان الدولة الإسلامية حيث يرجع للقرآن الكريم الفضل في نشر اللغة العربية وتوسيع نفودها ولولاه لبقية محبوسة في جزيرة العرب فقط لا تتسلط على أمة ولا تهمين على شعبن فالقرآن الكريم هو الذي أعطى للعرب المكانة التي أصبحوا يتمتعون بها عالميا، حيث ساعد القرآن على انتشار العربية بين الأمم الداخلة في الإسلام الأمر الذي دفعهم لتعلم العربية حبا في هذا الدين، فمن أحب الله تعالى أحب الرسول ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على العجم والعرب ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، فهي خير اللغات والإقبال عليها من الديانة فهي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، ومن ثمة تعلب اللغة العربية دورا مهمها في حياة الشخص المسلم، فهي ليست مجرد أداة للتواصل فقط كبقية اللغات الأخرى، بل لغة الدين الإسلامي ومفتاح فهمه وتعلمه وبالتالي فمحبة اللغة العربية من محبة الدين والتمسك بكتاب الله تعالى.

٢- اللغة العربية ووحدة العرب والمسلمين: لقد ساهمت اللغة العربية بشكل كبير في ربط المسلمين مع بعضهم البعض نتيجة الدور الفعّال والحاسم الذي تقوم به اللغة العربية ووظائفها المتعددة، إنها لغة موحدة تمثل الذاكرة الجماعية للمسلمين في كافة مناحي الحياة الإنسانية، فاللغة وعاء الإنسانية وأفضل حامل لتاريخ الشعوب والأمم من الضياع والزوال والاندثار، وغيرها من العوامل الأخرى ذات العلاقة الوطيدة بحياة الإنسان وهويته، إنها تعبير عن وحدة الانتماء وتجربة العيش المشترك في عالم الوجود(١٦).

فقد وحدت العربية العرب الدين كانوا يتكلمون العديد من اللهجات، ولكن بنزول القرآن زالت هذه اللهجات، وأصبحت للعرب لغة واحدة رسمية هي اللغة العربية، ومن الأثار ايضا التي جسدها القرآن في اللغة العربية تهذيب الألفاظ وجودتها، بالإضافة إلى المحافظة على اللغة العربية من الضياع ذلك أنها محفوظة بالقرآن الكريم حيث يقول تعالى:" وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدتْ للكافرين"[١٧]وكذلك قوله تعالى:" قل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"[١٨]، كما يساهم القرآن الكريم في تقوية اللغة العربية وتطويرها ومواجهة التحديات التي يعرفها العلم في جميع مجالاته.

لقد وردت الكثير من الآيات التي تحدد مجال التبادل بين العربية والقرآن الكريم مثل قوله تعالى:" وكذلك أنزلناه حكماً عربيا لأن اتبعت أهوائهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق"[١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[٢٠] وغيرها من المواضع الكثيرة التي تشير إلى طبيعة العلاقة القائمة بين اللغة العربية والقرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر الأية٩، ولولا القرآن الكريم ما كانت عربية، ولولاه لجرى للغتنا ما جرى للغات الأخرى التي بادت وتشيعت في لغات أخرى متبانية"[٢١]، وبالتالي تكتسي اللغة مكانة محورية بين اللغات الأخرى، وهذه المكانة نابعة من مصدرها المقدس وهو القرآن الكريم، وعليه ترتبط لغتنا العربية بالكثير من المفاهيم المحورية ذات العلاقة المباشرة مع هوية الإنسان وتاريخه وحضارته وانتمائه، بمعنى لا يمكن تصور وجود هذه المفاهيم من دون لغة، فهي التي تحفظُ للإنسان انتمائه، وتنقل كل قضاياه وهمومه، فاللغة وعاء الفكر وناقلته من الجمود إلى الحركة، ولا يمكن تصور وجود تفكير من دون لغة، أما قضية تفوق لغة على أخرى فقد ارتبطت في تاريخها بالوضع السائد في الدولة بمعنى حالة القوة والضعف ترتب عنها قوة وضعفاً في حضور اللغة في الفضاء العام أو غيابها، يقول شريف الشوباشي" وفي التاريخ كانت هناك في كل العصور لغة تتفوق على اللغات الأخرى في الأهمية لأنها لغة الحضارة المسيطرة في العالم، كان هذا هو الحال بالنسبة للغة اليونانية قبل المسيح بعدة قرون،

ثم اللاتينية عندما كانت روما القوة العظمى التي تبسط نفوذها على معظم بقاع العالم"[٢٢] وهو الأمر نفسه الذي نجده في تاريخ الحضارات القديمة حيث كانت تتم كل المعاملات باللغة اليونانية واللاتينية أما كلمة بربري فكان يقصد بها كل من لا ينتمي إلى الأصل اليوناني أو الروماني ومن لا يتكلم اليونانية القديمة أو اللاتينية، أما العرب فيطلقون لفظ الأعجمي على كل من لا يجيد العربية مهما كان اصله، أما بظهور الإسلام فقد تغيرت جميع الموازين حيث اصبحت العربية لغة جميع العلوم الاخرى من دون أيّ منازع، وموطن المعرفة العلمية، فكان علماء العالم مضطرين لمعرفة قواعد اللغة العربية حتى يصبحوا أكثر إلماماً بما وصل إليه العلم من منجزاتٍ مختلفة، فكل الابداعات والمنجزات العلمية كان موطنها العالم العربي.

الخاتمة:ـ

في ختام هذه الورقة البحثية التي تسلط الضوء على مسألة غاية في الأهمية ألا وهي العلاقة بين القرآن الكريم كتاب الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واللغة العربية باعتبارها اللغة التي نزل بها، ومن ثمة المقاربات المتنوعة التي تحملها هذه العلاقة والأبعاد المتعددة التي تختزلها من زوايا متعددة ومتنوعة، فلا يمكن فهم هذه العلاقة من دون التأمل في معاني ودلالات القرآن الكريم التي تؤكد في الكثير من المواضع على طبيعة هذه العلاقة الجوهرية التي تحمل في طياتها خفايا وأسرار اللغة العربية وجماليتها، وعليه يمكن الخروج بالنقاط التالية:

- إن الحديث عن اللغة العربية له أهميته الخاصة خصوصا في ظل التحديات والرهانات الجديدة التي يعيشها العالم في جميع مجالات الحياة الإنسانية بفعل التدفق السريع لنهر المعرفة العلمية في عصر العولمة والثورة المعلوماتية، الأمر الذي يضعنا أمام حتمية الاهتمام بلغتنا العربية وجعلها قادرة على مواكبة جميع التحولات التي يعيشها العالم ما دمنا ننتمي إلى هذا العالم، وجزءٌ لا يتجزأ منه.
- التأكيد على القيمة المعرفية والقوة الكبيرة التي تتمتع بها اللغة العربية بجميع فروعها، وكل تخصصاتها، فاللغة مفتاح الرقي والتطور وعامل مهم من عوامل الوحدة والتماسك بين الشعوب العربية، إنها هوية وانتماء قبل أن تكون أداة للتواصل.

- وجود علاقة تبادلية بين القرآن الكريم واللغة العربية، حيث تشير معظم الآيات التي ورد فيها التأكيد على اللسان العربي بوصفه لسان القرآن الكريم وكتاب الله تعالى، ومن ثمة الخاصية المقدسة التي تتمتع بها اللغة العربية المحفوظة بحفظ كتاب الله تعالى.

هوامش البحث

(١)- جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت لبنان، ١٩٨٨، ص، ١٠.

(٢)- جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، المرجع السابق، ص،١١.

(٣)- المرجع نفسه، ص، ١٣.

(٤)- محمد رواس قلعه جي، لغة القرآن لغة العرب المختارة، دار النفائس، السعودية، ١٤٠٦ه، ص،٧.

(٥)- سورة الشعراء، الآية ١٩٣-١٩٥.

(٦)- سورة النحل، الآية ١٠٣

(٧)- سورة الأحقاف، الآية ١٢.

(٨)- حامد تشوي ونجوى خلف، تأثير القرآن في اللغة العربية، ٢٠١١، ص، ٦.

(٩)- سورة الزخرف، الآية ٣.

(١٠)- سورة الشعراء الآية ١٨٥.

(١١)- سورة الزمر، الآية ٢٨.

- سورة الحجر، الآية ٩.(١٢)

(١٣)- حامد تشوي ونجوى خلف، تأثير القرآن في اللغة العربية، المرجع السابق، ص،٧.

(١٤)- سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(١٥)- سورة يوسف، الآية ٢.

(١٦)- أشرف محمد زيدان، مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم، مجلة المداد، جامعة ملايا ماليزيا، ص،١٣.

(١٧)- سورة البقرة الآية: ٢٣-٢٤.

(١٨)- سورة الإسراء الآية: ٨٨.

(١٩)- سورة الرعد الآية ٣٧.

(٢٠)- سورة طه الآية ١١٣.

(٢١)- محمد متولي منصور، مظاهر أزمة العربية في الخطاب الإعلامي المعاصر، د.ت، د.ط، ص، ٤٣٧.

(٢٢)- شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، مؤسسة هندواي، ص،٣٤.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١- سورة الإسراء، الآية ٨٨.

٢- سورة يوسف، الآية ٢.

٣- سورة البقرة الآية: ٢٣-٢٤.

٤- سورة الإسراء الآية: ٨٨.

٥- سورة الرعد الآية ٣٧.

- سورة طه الآية ١١٣٦

٧- سورة الزخرف، الآية ٣.

٨- سورة الشعراء الآية ١٨٥.

٩- سورة الزمر، الآية ٢٨.

١٠- سورة الحجر، الآية ٩

١١- سورة الشعراء، الآية ١٩٣-١٩٥.

١٢- سورة النحل، الآية ١٠٣

١٣- سورة الأحقاف، الآية ١٢.

المراجع:

١. أشرف محمد زيدان، مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم، مجلة المداد، جامعة ملايا ماليزيا، د.ت، د. ط.

٢. جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت لبنان، ١٩٨٨.

٣. حامد تشوي ونجوى خلف، تأثير القرآن في اللغة العربية، ٢٠١١.

٤. محمد رواس قلعه جي، لغة القرآن لغة العرب المختارة، دار النفائس، السعودية، ١٤٠٦ه،

٥. شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، مؤسسة هندواي.

٦. محمد متولي منصور، مظاهر أزمة العربية في الخطاب الإعلامي المعاصر، د.ت، د.ط.